بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تبارك وتعالى: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**[1].

والبحث حول هذه الفقرة الشريفة في عدّة مطالب:

المطلبُ الأول: في حقيقة اليقين وآثاره.

وهنا أُمورٌ أربعة:

الأمرُ الأوّل: المعنى اللغوي لليقين.

إنّ هذه المادة وهي عنوان "اليقين" قد وردتْ في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعاً.

أربعة عشر منها بصيغة الفعل نحو: "يوقنون" حيث جاء في آياتٍ عديدة، منها:

1 – قال تعالى: **{قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}**[2].

2 – وقال تعالى: **{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**[3].

3 – وقال تعالى: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}**[4].

وأربعة عشر موضعاً بصيغة الاسم، في عدّة آياتٍ، منها:

1 – قال تعالى: **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}**[5].

2 – وقال تعالى: **{وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}**[6].

3 – وقال تعالى: **{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}**[7].

---

[1] سورة البقرة، 4.

[2] سورة البقرة، 118.

[3] سورة لقمان، 4.

[4] سورة السجدة، 24.

[5] سورة الحجر، 99.

[6] سورة النمل، 22.

[7] سورة الواقعة، 95.

وجاء في معجم مقاييس اللغة: ((يَقَنَ) **الْيَاءُ وَالْقَافُ وَالنُّونُ: الْيَقَنُ وَالْيَقِينُ: زَوَالُ الشَّكِّ. يُقَالُ يَقِنْتُ، وَاسْتَيْقَنْتُ، وَأَيْقَنْتُ**)[8].

وفي مفردات الراغب الاصفهاني: (**اليَقِينُ من صفة العلم فوق المعرفة والدّراية وأخواتها، يقال: علم يَقِينٍ، ولا يقال: معرفة يَقِينٍ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم**)[9].

مما يعني أنّ اليقين أعلى مِن المعرفة والدراية.

وقال ابن عاشور: (**والْيَقِينِ: الْمَعْلُومُ جَزْمًا الَّذِي لَا يَقْبَلُ التَّشْكِيكَ**)[10].

ولذا يُقال: عَلِمَ الله، ولا يُقال: تيقنَ الله، ويُقال: الله عالم، ولا يُقال: الله متيقن أو له يقين.

والمُستفاد مِن هذه العبائر المذكورة في كتب اللغة أنّ معنى اليقين متقومٌ بعناصر عدّة:

العنصرُ الأوّل: زوالُ احتمال الخلاف، بمعنى أنّ الإنسان إذا بلغَ درجةً مِن العلم انمحى فيها احتمالُ الخلاف حتى بنسبةٍ ضئيلةٍ موهومةٍ فقد بلغَ درجةَ اليقين.

العنصرُ الثاني: الثبات، فإنّ اليقين لا يطلقُ على العلم المتغير؛ وإنّما يطلقُ اليقين على العلم الثابت المستمر، وإلّا فقد يعلمُ الإنسانُ شيئاً بمعنى: أنْ يقطع بِهِ ثمّ يزول ليتحول إلى جهلٍ، فهذا ليس يقيناً، فإنّ اليقين لا يطلقُ إلّا على العلم الثابت المستمر.

العنصرُ الثالث: إذعانُ النفس وسكونها، فاليقين ليس مجرّد جزم بل جزمٌ مستتبعٌ لإذعانٍ مِن النفس وسكونها وإذعانها لهذا العلم.

العنصرُ الرابع: أنّ اليقين صفةٌ تتضمنُ التكامل، بمعنى: أنّ العلم هو عبارةٌ عن انكشاف الواقع، ولكن اليقين هو عبارةٌ عن درجاتٍ التكامل مِن انكشاف الواقع، ولأنّ العلم متضمنٌ للتكامل والتطور لَمْ يصحّ إطلاقه على الله سبحانه وتعالى، فيُقال: عَلِمَ الله، لأنّ العلم بمعنى الانكشاف، لكن لا يُقال: تيقن الله؛ لأنّ اليقين فيه إشعارٌ بالتكامل مِن درجةٍ إلى درجةٍ أعلى، لذلك لا يصحّ إطلاقه على الله تبارك وتعالى.

الأمرُ الثاني: المفهوم القرآني لليقين.

---

[8] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ج6، ص157.

[9] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ج1، ص892.

[10] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج27، ص350.

جاء وصفُ اليقين في القرآن الكريم مُقارنا لعدّة صفات:

الصفةُ الأُولى: الصبر، قال الله تبارك وتعالى وقال تعالى: **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}**[11].

بحيث ذكر عدّةٌ مِن الأعلام أنّ مِن معالم الإمامة الصبر واليقين، بل ورد في الحديث الشريف أنّ الصبر مِن آثار اليقين، أي: لولا أنّهم بلغوا هذه الدرجة العالية مِن العلم المعبر عنها بـ "اليقين" لما كان دأبهم هو الصبر، ولذلك ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) أنّه قال: (**الصبر ثمرة اليقين**)[12].

الصفةُ الثانية: التأمل والتدبر، قال الله تبارك وتعالى: **{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}**[13]، ولَمْ يقل: وفي الأرض آياتٌ للمؤمنين؛ فإنّ الإيمان ليس ملازماً للتأمل والتدبر وإنّما اليقينُ ملازمٌ عادة للتدبر والتأمل.

الصفةُ الثالثة: الهداية، كما في هذه الآية الشريفة قال سبحانه: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[14] فمَن بلغَ هذه الدرجة من العلم فقد بلغَ الهداية الحقيقية.

وقيل في بعض كتب التفسير: إنّ لليقين في القرآن الكريم عدّة معاني، وهي:

المعنى الأوّل: أنّ اليقين بمعنى الصدق الخبري، أي: الخبر المطابق للواقع، كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}**[15] أي: بخبرٍ مطابقٍ للواقع.

المعنى الثاني: أنّ اليقين بمعنى الموت، كما في قوله سبحانه وتعالى: **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}**[16]، وقوله تبارك وتعالى: **{وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ}**[17] أي: حتى بلغنا الموت.

---

[11] سورة السجدة، 24.

[12] غرر الحكم ودرر الكلم، عبدالواحد بن محمد التميمي الآمدي، دار الكتاب، ص32، رقم: 465.

[13] سورة الذاريات، 20.

[14] سورة البقرة، 3 – 4.

[15] سورة النمل، 22.

[16] سورة الحجر، 99.

[17] سورة المدثر، 46 – 47.

المعنى الثالث: أنّ اليقين بمعنى العلم الثابت الذي لا يتزلزل، كما في قوله تعالى: **{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ}**[18] أي: لو كان عندكم علمٌ ثابتٌ لترون الجحيم.

المعنى الرابع: أنّ اليقين بمعنى العلم الجازم في مقابل الظن والشك، كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا}**[19]، أي: إنّ إذعانهم بقتله ظني وليس يقينياً.

لكن هذا التحليل ليس دقيقاً؛ بمعنى: أنّ اليقين في القرآن الكريم لَمْ يستعمل في عدّة معاني، وإنّما اليقين في القرآن الكريم بمعنى واحد، وهو العلم الثابت الجازم، ولهُ آثار، فاختلاف مواطن استعماله لاختلاف الأثر، لا لأنّ معنى اليقين مختلف.

فمثلاً: في تفسيرهم لقوله تعالى: **{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}**[20]، قيل: إنّ اليقين بمعنى الموت، والصحيح أنّ اليقين ليس بمعنى الموت، وإنّما لأنّ الموت يوصلُ الإنسان إلى درجةٍ جازمةٍ مِن العلم بعالم الغَيْب لذلك عُبر عن مَن ماتَ بأنّه وصل إلى اليقين، وإلّا ليس اليقين بمعنى الموت.

ولذلك ورد في عدّة زياراتٍ للنبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) التعبير (**حَتّى أَتَاكَ الْيَقِينُ**)، منها:

1–ما جاء في زيارة النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله): (**وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالَاتِ رَبِّكَ، وَنَصَحْتَ لِأُمَّتِكَ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ الله، وَعَبَدْتَ اللهَ حَتّى أَتَاكَ الْيَقِينُ**)[21].

2–ما جاء في زيارة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه): (**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ الله، أَنْتَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ، وَأَوَّلُ مَنْ غُصِبَ حَقُّهُ، صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ حَتّى أَتَاكَ الْيَقِينُ**)[22].

---

[18] سورة التكاثر، 5 – 6.

[19] سورة النساء، 157.

[20] سورة الحجر، 99.

[21] الكافي، للشيخ الكليني، دار الحديث، ج9، أبواب الزيارات، باب دخول المدينة وزيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والدعاء عند قبره، ح1.

[22] المصدر السابق، باب ما يقال عند قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، ح1.

3–ما جاء في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام): (**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا أُمِرْتَ بِهِ، وَلَمْ تَخْشَ أَحَداً غَيْرَهُ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِهِ، وَعَبَدْتَهُ صَادِقاً حَتّى أَتَاكَ الْيَقِينُ**)[23].

4–وكذا ما جاء في زيارةٍ أُخرى للإمام الحسين (عليه السلام): (**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتّى أَتَاكَ الْيَقِينُ**)[24].

فليس المراد بـ (**حَتّى أَتَاكَ الْيَقِينُ**) أنّه حتى مِت، بل بمعنى أنّه عبدَ الله مخلصاً في صورٍ وحالاتٍ متعالية إلى اليوم الذي رأى فيه عالم البرزخ بدرجةِ حقّ اليقين.

ومِن أمثلة كتب التفسير ما قيل: إنّ اليقين بمعنى العلم الجازم؛ لقوله تعالى: **{مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا}**[25]، مع أنّه مِن آثار اليقين الجزم والثبات، وقد سبق أنّ لليقين عدّة آثارٍ، فاستخدم لفظ اليقين هنا بلحاظ ما لهُ مِن أثرٍ وهو الجزم مقابل الشك والظن.

الأمرُ الثالث: درجات اليقين.

قد سبق أنّ اليقين يتضمن التكامل والارتقاء فهو على أنحاءٍ فمنه ما يحصلُ بالاكتساب البرهاني، وبعضه ما يحصلُ بالحسّ، وبعضه ما يحصلُ بانكشاف عالم الملكوت وهو أعلى درجاته كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}**[26]، أي: أنّ النبيّ إبراهيم (عليه السلام) حصل على اليقين لا مِن باب الحسّ أو مِن باب الاكتساب والتعلم بل أنّ الله تبارك وتعالى مَنَّ عليهِ بأنْ كشف له عالم الملكوت بعجائبه وغرائبه فوصل إلى درجةِ اليقين.

وهذا المعنى الذي أشارت إليه الآيات الشريفة بقوله عزّ وجلّ: **{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}**[27]، أي: أنّنا نعيشُ في الحياة الدنيا في غطاء، وإنْ كنا نعتقدُ أنّنا بلغنا مِن الدرجات العلمية ما بلغنا، ولكنه في الواقع درجة صفرٍ إلى مليارٍ

---

[23] المصدر السابق، باب زيارة قبر أبي عبدالله الحسين بن علي (عليهما السلام)، ح1.

[24] المصدر السابق، ح3.

[25] سورة النساء، 157.

[26] سورة الأنعام، 75.

[27] سورة ق، 19 – 22.

مِن مراتب العلم، فإذا جاءت سكرة الموت انكشف الغطاء، ونظرنا إلى ذلك العالم المليء بالأرواح والأشباح وأصناف المخلوقات مِن الملائكة والأنبياء والأوصياء والأولياء والعصاة والطغاة بأنواعهم وأصنافهم، ولعلّ ذلك هو المقصود بقوله تبارك وتعالى: **{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}**[28] أي: لو انكشف لكم شيء مِن ذلك العالم لرأيتم الجحيم بأعينكم.

وقوله تعالى: **{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}** فيه إشارةٌ إلى التقسيم المعهود: **الأوّل**: اليقين العلمي، **والثاني**: اليقين العيني، **والثالث**: اليقين الحقي كما دلت عليه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: **{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}**[29].

واختلاف درجاتِ اليقين تابعٌ لاختلاف درجاتِ انكشاف الواقع، فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) أنّه قال: **(لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)**[30] أي: أنّ سائر الناس إنّما يصلون إلى هذه الدرجة إذا جاءهم الموت وانكشف لهم الغطاء وأمّا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقد بلغَ هذه الدرجة بدون حاجةٍ إلى أنْ يصل إلى حالة الموت كي يرى ما لا يراه الناس إلّا في تلك الحالة.

الأمرُ الرابع: آثار اليقين.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) أنّه قال: **(لأَنْسُبَنَّ الإِسلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي، الإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ والتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، والْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ والتَّصْدِيقُ هُوَ الإِقْرَارُ، والإِقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ والأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ)**[31].

وهذا الحديث الشريف متضمنٌ لمراتب اليقين الحقيقي، لكن مِن الأعلى للأدنى – لا مِن الأدنى للأعلى –، وقد بدأ بالإسلام وانتهى بالعمل.

وبيانُ ذلك مجملاً:

---

[28] سورة التكاثر، 5 – 7.

[29] سورة الواقعة، 95.

[30] مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، طبعة المكتبة الحيدرية، ج1، ص317.

[31] الكافي، الشيخ الكليني، دار الحديث، ج3، كتاب الإيمان والكفر، الباب 22 باب نسبة الإسلام، ح1.

إنّ الإسلام في الحديث هو الذي أشارت إليه الآية المباركة على لسان النبي إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام): **{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}**[32]، فليس المقصود بالإسلام هنا شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله بنحو الشهادة اللفظية، فهذا هو الإسلام الظاهري، وأمّا الإسلام الواقعي فهو التسليم، والتسليمُ عبارةٌ عن أعلى مراتب العبودية لله سبحانه وتعالى الذي يعني توافق العقل والقلب والجوارح الانقطاع إلى الله تعالى؛ فإذا تطابق الداخل والخارج على التوجه إلى الله تعالى بعين العبودية والرقية فهو التسليم، ومِن الواضح أنّ بلوغ هذه الدرجة يقتضي انكشاف بعض معالم الغَيْب للإنسان، وإذا انكشفت بعض معالم الغَيْب للإنسان فقد كان مِن أهل اليقين، فالتسليم يؤدي إلى اليقين.

واليقين يؤدي إلى التصديق بمعنى إذعان النفس وسكونها، والتصديقُ يؤدي لمطاوعة الإرادة للعلم، وهذا ما عبر عنه (عليه السلام) بالإقرار في قوله: (**والتَّصْدِيقُ هُوَ الإِقْرَارُ**).

وإذا بلغ الإنسان إلى درجةِ مطاوعة الإرادة لعلمه كانتْ إرادته مستلزمة لانبعاثه وهذا هو الأداء، والأداءُ مساوقٌ خارجاً للعمل، ولذلك قال (عليه السلام): (**والإِقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ والأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ**).

كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) أنّه قال: (**إنّ المؤمن يرى يقينه في عمله، والكافر يرى انكاره في عمله**)[33] أي: أنّ ما يحمله المؤمن مِن يقين يتمظهر ويتجسد بالعمل فهو يرى يقينه في عمله، وأمّا الكافر الذي لا يبالي بالضوابط ولا يبالي بالخطوط ولا يبالي بدين فمِن الطبيعي أنّه يرى انكاره متجسداً ومتمظهراً في عمله.

المطلبُ الثاني: في مداليل الفقرة الشريفة.

وهي قوله عزّ وجلّ: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**[34].

وفي هذه الفقرة الشريفة عدّة مداليل:

المدلولُ الأوّل: ما معنى الآخِرة؟

---

[32] سورة البقرة، 131 – 132.

[33] الكافي، الشيخ الكليني، دار الحديث، ج3، كتاب الإيمان والكفر، الباب 22 باب نسبة الإسلام، ح1.

[34] سورة البقرة، 4.

إنّ لفظ الْآخِرَةِ مؤنثُ الآخِر بكسر الخاء – لا مونثُ الآخَر بفتح الخاء –، وهي تختلفُ عن الأُخْرَى التي بمعنى الثانية كما في قولنا: فئةٌ وفئةٌ أُخرى أي: وفئةٌ ثانية، فإنّ المقصود بِالْآخِرَةِ الدارُ التي ليس بعدها دار، وقد عبرت عنها الآية الكريمة في قوله تبارك وتعالى: **{وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ}**[35] أي: هي الحياةُ الحقيقية التي خلق الإنسانُ مِن أجلها وأنّه سيعيشها إمّا نعيماً أو شقاءً.

المدلولُ الثاني: لماذا قدم المجرور على الفعل حيث قال تعالى: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**، ولَمْ يقل: ويوقنون بالآخِرة؟

إنّ تقديم المجرور على الفعل يُستفاد منه أحياناً الحصر كأنْ يُقال: بالعلمِ تَفوقَ، أي: السبب المنحصر في تفوقه هو العلم، لا المال أو الشهرة.

وأحياناً يُستفاد مِن التقديم الاهتمام وبه يتحقّق التمركز والتمحور، كما في محلّ كلامنا في الآية الكريمة: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** لا بمعنى أنّ إيقانهم انحصر بالآخِرة؛ فهم يوقنون بالله تعالى ويوقنون بالنبوة ويوقنون بالآخِرة أيضاً، ولكن يقينهم متمركزٌ في الإيمان بالآخِرة؛ بلحاظ أنّ الإيمان بالآخِرة هو منشأُ التقوى والالتزام، لذلك قدم المجرور على الفعل.

المدلولُ الثالث: لماذا عبر بالضمير (هم) فقال تعالى: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**، ولَمْ يقل: وبالآخِرة يوقنون؟

قد ذكر عدّة مِن المفسرين ومنهم السيد السبزواري (قدس سره الشريف) في مواهب الرحمن أنّ التعبير بالضمير إشارةٌ إلى تميزهم عن غيرهم؛ فإنّ هؤلاء المؤمنين متميزون على غيرهم في كمال إيمانهم بالآخِرة؛ وذلك لأنّ الناس على ثلاثة أقسام:

القسمُ الأوّل: مَن لا يبالي بالآخرة، وقد عبر عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى: **{فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}**[36].

وقال عزّ وجلّ: **{فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ}**[37]، وهذا هو المُشاهد في عصرنا الحاضر؛

---

[35] سورة العنكبوت، 64.

[36] سورة النازعات، 37 – 39.

[37] سورة النجم، 29 – 30.

فإنّ عالَم الغرب ومَن هو متأثّرٌ بالغرب يعيش إيماناً كاملاً بالحياة المادية ولا يرى وراء المادة شيئاً آخر، ويرى أنّ العلم كلّ العلم أنْ يحيط بأسرار المادة وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: **{ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ}**، ولربما يكونُ جهلاً وليس علماً، فإنّ المراد مِن قوله تعالى: **{ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ}** أي: أنّ منشأ تعلقهم بالحياة الدُنيا جهلهُم بالواقع، وأنّ هذه الدُنيا ما هي إلّا نقطة بالنسبة للعالم الحقيقي وهو عالم الآخِرة؛ فلأجل جهلهم بالواقع اقتصروا على الحياة الحسِّيَّة.

القسمُ الثاني: مَن يؤمن بالآخِرة ولكنه إيمان لَمْ يصل إلى حدّ الردع عن المعصية والبعث نحو الطاعة التامة، وقد عبر عنهم القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى: **{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا}**[38].

القسمُ الثالث: مَن آمنَ بالآخِرة إيماناً رادعاً باعثاً وهو على درجاتٍ أيضاً؛ فإنّ للآخِرة وجوها – لا وجهاً واحداً – فالآخِرة هي الحشر، وهي الميزان، وهي الحساب، وهي الصراط، وهي الجنة، وهي النار، وهي الرضوان، كما قالت الآية الكريمة: **{وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ}** [39]، فمَن آمنَ بالآخِرة بتمام حقائقها فقد بلغَ درجةَ اليقين، وهذا ما أشارت إليه الآية المباركة في قوله تعالى: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** أي: هُمْ يتميزون على غيرهم بهذه الدرجة من الإيمان.

المدلولُ الرابع: لماذا عبر باليقين ولَمْ يعبر بالإيمان؟

حيث قال تعالى: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** وفيه إشارة إلى أنّ التقوى الواردة في قوله تبارك وتعالى: **{الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}**[40] تعني: مَن وصل إلى درجةِ العلم الباعث نحو العمل والرادع عن المعصية كما في قوله تبارك وتعالى: **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}**[41]، وقوله: **{وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ}** أي: أنّه لديه علمٌ لكن علمه لَمْ يمنعه مِن الضلال؛ لأنّه لَمْ يصل إلى درجة اليقين.

---

[38] سورة التوبة، 102.

[39] سورة الحديد، 20.

[40] سورة البقرة، 1 – 2.

[41] سورة الجاثية، 23.

وقال سبحانه وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}**[42]، أي أنّهم وإنْ آمنوا بيوم الحساب لكن طغيان المادة وغلبة المعصية وسواد الذنوب الذي طغى على قلوبهم جعلهم غافلين عن يوم المعاد، بينما وصف الأنبياء والأوصياء (صلوات الله عليهم أجمعين) بقوله عزّ وجلّ: **{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ}**[43]، بمعنى أنّ الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) لا تغيبُ عنهم ذكرى الدار الآخِرة طرفة عين، وهي الحياة الحقيقية فإنّ لفظ الدار إذا ورد بدون وصف فإنّه يعني الدار الحقيقية لأنّها المنزل الدائم، وإنّما لا تغيبُ عنهم الدرار الآخرة؛ لانكشاف عالم الملكوت لهم بالدرجات المتفاوتة بينهم.

المدلولُ الخامس: لماذا قدم الإيمان بالنبوة على الإيمان بالآخِرة؟

حيث قال سبحانه وتعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}** وهذا عبارة عن النبوة، ثمّ قال سبحانه: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** فقدم الإيمان بالنبوة على الإيمان بالآخِرة؛ والسر في ذلك أنّ الإيمان بالنبوة هو المُستلزم للإيمان بالآخِرة ملازمةً ثبوتية وإثباتية.

أمّا الملازمة الثبوتية؛ فلأنّه لولا الإيمانُ بالآخِرة لكان الإيمانُ بالنبوة لغواً؛ حيث قال تبارك وتعالى: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}**[44]، أي: أنّ الهدف مِن النبوات والكتب إقامة العدالة وتحقّيق القسط وإماتة الظلم والجور، ومِن الطبيعي أنّ إقامة العدالة والقسط تقتضي وجودَ ظالمٍ وعادلٍ، فلو لَمْ يكن هناك يوم جزاء يُجازى فيه مَن طبقَ العدالة ويُعاقب فيه مَن تجاوز وتمرد وعمل بالظلم لكان وجود النبوة والرسالة لغواً؛ لأنّه لَمْ يترتب على تطبيق العدالة وتمرد الظلمة أيُّ غاية، فالإيمانُ بالنبوة دونَ الإيمان بالآخِرة عبارةٌ عن فصل المُغيا عن الغاية، وفصل المُغيا عن الغاية موجبٌ للغوية المُغيا، كأنْ يقال: الإنسانُ يتعلمُ مِن أجل أنْ يتعلم لا مِن أجل أنْ

---

[42] سورة ص، 26.

[43] سورة ص، 45 – 47.

[44] سورة الحديد، 25.

يكون عالماً، ولذلك قال تبارك وتعالى: **{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ}**[45].

وأمّا الملازمة الإثباتية؛ فلأنّ النبوة والكتاب جاء بمعارفٍ ومعتقداتٍ، ومِن المعارف التي جاءتْ بها النبوات والكتب هي الإيمانُ بالآخِرة، وإنّما وصل الإنسانُ للإيمانِ بالآخِرة بلحاظ تعلمه المعارف التي جاءَ بها الأنبياءُ والرسلُ (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، ومِن تلك المعارف أنّ مَن عمل صالحاً يُجزى ومَن عمل سيئاً يُجزى، كما قال الله تبارك وتعالى: **{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}**[46]، وهكذا أكدت الآياتُ القرآنية على الغاية مِن النبوة.

المدلولُ السادس: لماذا عبرت الآية عن اليقين بالفعل لا بالاسم؟

إنّ الفقرة الشريفة عبرت بالفعل فقالت: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**، ولَمْ تقل: وبالآخِرة هم موقنون، أي: لَمْ تستخدم التعبير بالاسم وإنّما استخدمت التعبير بالفعل.

وفيه إشارة إلى التجدد والاستمرار؛ فإنّ المتقين كلما شاهدوا الدُنيا وأحوالها الهابطة زاد إيمانهم بالآخِرة قال تبارك وتعالى: **{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}**[47]، بل الإنسان العاقل وإنْ لَمْ يكن مِن المتقين كلما تأمل في الدُنيا عرف الآخِرة أكثر، فالأشياءُ تعرف بأضدادها.

والحمد لله رب العالمين

[45] سورة النجم، 39 – 42.

[46] سورة الزلزلة، 7 – 8.

[47] سورة الحديد، 20.